القصر الأثرى

تأليف
د / حسام العقاد

رسوم
محمود الأعصر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

توقف التاكسى أمام القصر الأثرى الكبير، وهبط منه علاء، ونقد السائق أجره، وتطلع إلى القصر فى كثير من الإعجاب والانبهار.

كان قصرا كبيرا، محاطا بحديقة واسعة مهملة، وكان طرازه آية فى الجمال والروعة، وبينما هو يتأمل القصر، أقبل صديقه مراد من الداخل مهرولاً، وحاول أن يرسم ابتسامة على وجهه الحزين وهو يقول:

- السلام عليكم ياعلاء، مرحبا بك.

- وعليكم السلام ورحمة الله يامراد.

- جئت فى موعدك تماما.

- أنت تعرف أنى أحرص دائما على مواعيدى، لقد علمنى أبى أن المسلم يفى بعهده، وينفذ وعده، لقول الله تعالى: ﴿ **وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسئولا** ﴾(1).

وسارا إلى الداخل، ونظر علاء إلى الحديقة المهملة، وقال فى أسف: خسارة ألا تعتنى بهذه الحديقة يامراد.

قال مراد: كنت أنوى أن أزرعها وأنسقها، فأنا لم أحضر للإقامة هنا إلا منذ أسبوع واحد.

(1) سورة الإسراء: الآية ٣٤.



ودخلا القصر، وجلسا فى قاعة واسعة، جدرانها مزينة بلوحات، وبين اللوحات نقوش ورسوم جميلة، وفى أركان القاعة، هياكل حديدية لفرسان فى زى العصور الوسطى، بملابسهم المعدنية، ودروعهم الضخمة، وسيوفهم وخوذاتهم . .

وشعر علاء وهو يجلس فى قاعة القصر كأنه انتقل إلى عصر قديم، وانتبه من أفكاره على صوت مراد يقول فى نبرات حزينة: لست أدرى ماذا أفعل ياعلاء.

وزفر فى مرارة فقال علاء فى رفق:

- ارو لى ماحدث بالتفصيل.

أخذ مراد نفسا طويلا ليملأ رئتيه بالهواء، ثم بدأ يقول وهو يجاهد حتى لا تنساب دموعه:

- ورث أبى هذا القصر القديم، وقرر أن ننتقل للإقامة فيه، رغم علمه أنه كان وكرا لعصابة خطيرة استولت عليه من جدى الأكبر، ثم قبض رجال الشرطة بمساعدة جدى على أفرادها، وظل القصر مهجورا، حتى آل إلينا.

وجفف مراد دمعة انسابت من عينه، ثم واصل قائلا:

- شعرت بخوف ورهبة عند دخولى القصر، ولكن أبى أكد لى أن خوف الناس من هذا القصر ليس له مبرر، لأن العصابة قُبض عليها، منذ سنوات طويلة، وأننا سننظف القصر، ونعيش فيه، وبدأنا نعد القصر، حتى فوجئت باختفاء أبى، وأبلغت الشرطة، وقام رجالها بتحريات واسعة لم تسفر عن نتيجة حتى الآن.



سكت مراد، وأطرق برأسه فى يأس مرير، وقال بعد برهة:

ـ أخشى أننى فقدت أبى نهائيا.. لو سمع أبى تحذيرى لما جئنا هنا.

قال علاء ناصحا:

ـ لا تقل «لو» هذه مرة ثانية، وإنما قل: قدّر الله وما شاء فعل، لقول النبى ﷺ: «**احرص على ماينفعك، واستعن بالله، ولاتعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وماشاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[1].

ومرت برهة صمت، حتى قال مراد:

ـ لقد سمعت أن العصابة القديمة أخفت كل ماسرقته من أموال وذهب في هذا القصر، وأن أحدا لم يكتشف المخبأ السرى حت الآن.

ففكر علاء: ترى هل لهذا علاقة باختفاء والدك؟

وسار علاء فى أرجاء القصر، وتوقف أمام الهيكل المعدنى للفارس القديم وسرت فى جوفه رهبة وهو ينظر إلى سيفه الذى يشهره للأمام، وخوذته المعدنية ودرعه الواقى، وغمغم:

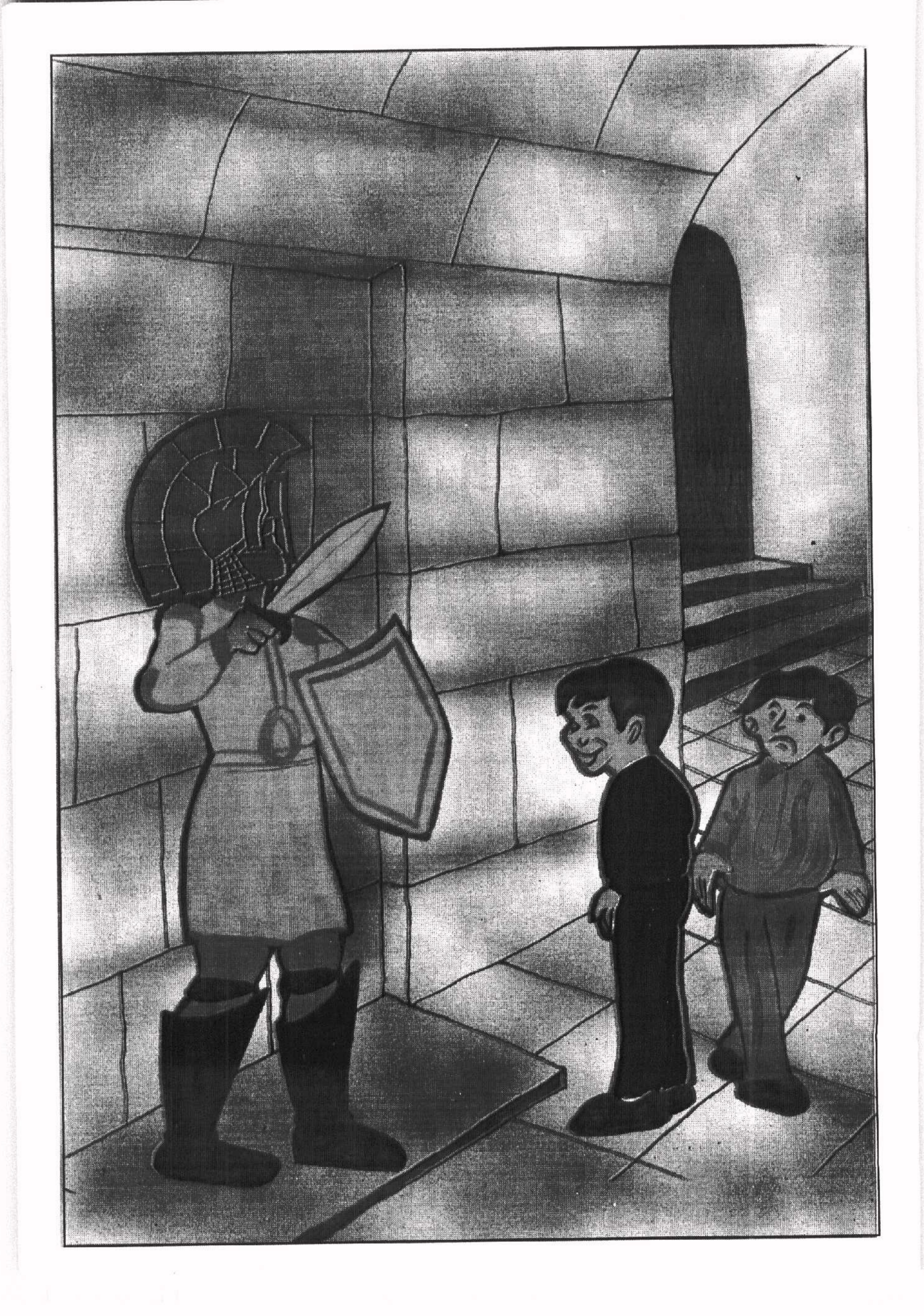
ـ هذا الفارس المعدنى مخيف.

قال مراد فى اضطراب:

ـ كل مافى القصر مخيف، إنى خائف، ولولا أنى أبحث عن أبى، لتركت هذا القصر فورا.

---

(١) حديث صحيح.. أخرجه مسلم (٢٦٦٤).



حدق علاء فى التمثال وشرد بذهنه، وقال:

ـ لابد أن نحاول إنقاذ والدك.

سأله مراد فى يأس: ماذا سنفعل نحن بعد أن عجز رجال الشرطة عن الوصول إليه؟

وبكى وهو يردف:

ـ إنى أشعر أنه فى خطر، ولا أستطيع إنقاذه.

احتضنه علاء، وقال ليُهدئ من روعه:

ـ لاتيأس من رحمة الله، وتذكر قول الله تعالى: **﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾**(١).

وساروا فى ردهات القصر الواسعة، ولاحظ علاء وجود عدد كبير من الهياكل الحديدية للفرسان، وإن كان الهيكل الأول يختلف فى أنه أكبرها حجما.

وراح علاء يفحص الجدران، فسأله مراد. ماذا تفعل؟

أجاب علاء:

ـ لا شك أن ثمة ممرا سريا داخل القصر، أخفت فيه العصابة كنوزها، لذلك لم يعثر عليها أحد، ولو وجدنا هذا الممر ربما وجدنا والدك داخله.

التمعت عينا مراد وهو يقول:

ـ لماذا لانبحث فى خريطة القصر.

سأله علاء متلهفا: أين هى؟

---

(١) سورة يوسف: الآية: ٨٧.



ـ فى المكتبة.

وهرول إلى المكتبة، وتبعه علاء، واتجه مراد إلى إحد أرفف الكتب، وأخرج كتابا ضخما، وفتحه وهو يقول:

ـ الخريطة فى هذا الكتاب.

وتجهم وجهه، وضاقت عيناه وهو يبحث عنها ولا يجدها، فقال فى خيبة أمل:

ـ لقد اختفت.. لقد سرقها شخص ما..

راح علاء يفكر: إن اختفاء الخريطة أمر مريب حقا..

وارتفع صوت بكاء مراد وهو يقول:

ـ أخشى أن يكون أبى قد عثر على هذا القبو السرى، ودخله، وسُجن داخله، وربما تعرض للموت عطشا وجوعا داخله.

قال علاء في حماس: اطمئن، سنعثر عليه إن شاء الله.

ـ كيف؟

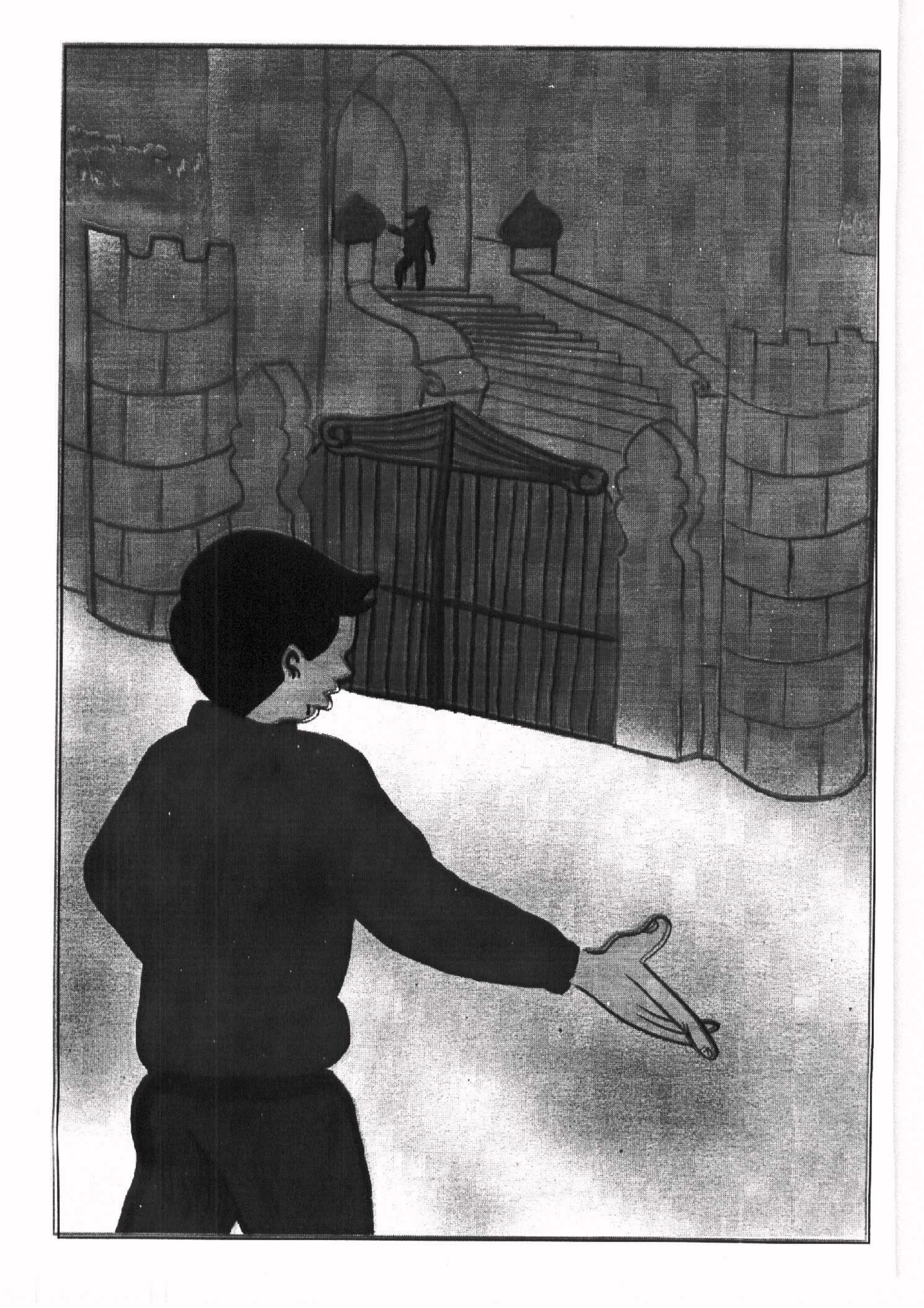
وسمعا صوتا غريبا فى الخارج، فانتفض مراد فزعا بينما هرول علاء فى شجاعة إلى خارج الغرفة ليرى مصدر الصوت، ولكن القاعة كانت خالية تماما.

وأثار انتباهه شىء فى الأرض، فأشار بيده، وقال:

ـ انظر يامراد، إنها أثار أقدام.

ـ أقدامنا نحن.

ـ لا، إنها أثار كبيرة.. أثار قدم رجل... لقد توقفت عند الفارس المخيف..



وأسرعا إليه، ومراد يرتجف، بينما نظر علاء إلى الجدر خلف التمثال، وقال فى أمل:

- أعتقد أن الممرى السرى فى هذا الجدار، فأثار الأقدام توقفت عنده.

وراح يفحص الجدار بيديه، ويدق عليه، وعجز عن اكتشاف أى باب سرى..

وتراجع علاء عدة خطوات، وتأمل الجدار والفارس، ثم صاح فجأة وهو يشير للفارس:

- ألم تلحظ شيئا عجيبا يامراد؟

هز مراد رأسه نفيا، وقال وأسنانه تصطك رعبا:

- لا، كيف ألاحظ أى شىء وأنا خائف هكذا؟

- ذراع الفارس تحركت قليلا، وكذلك سيفه، لقد عرفت السر.

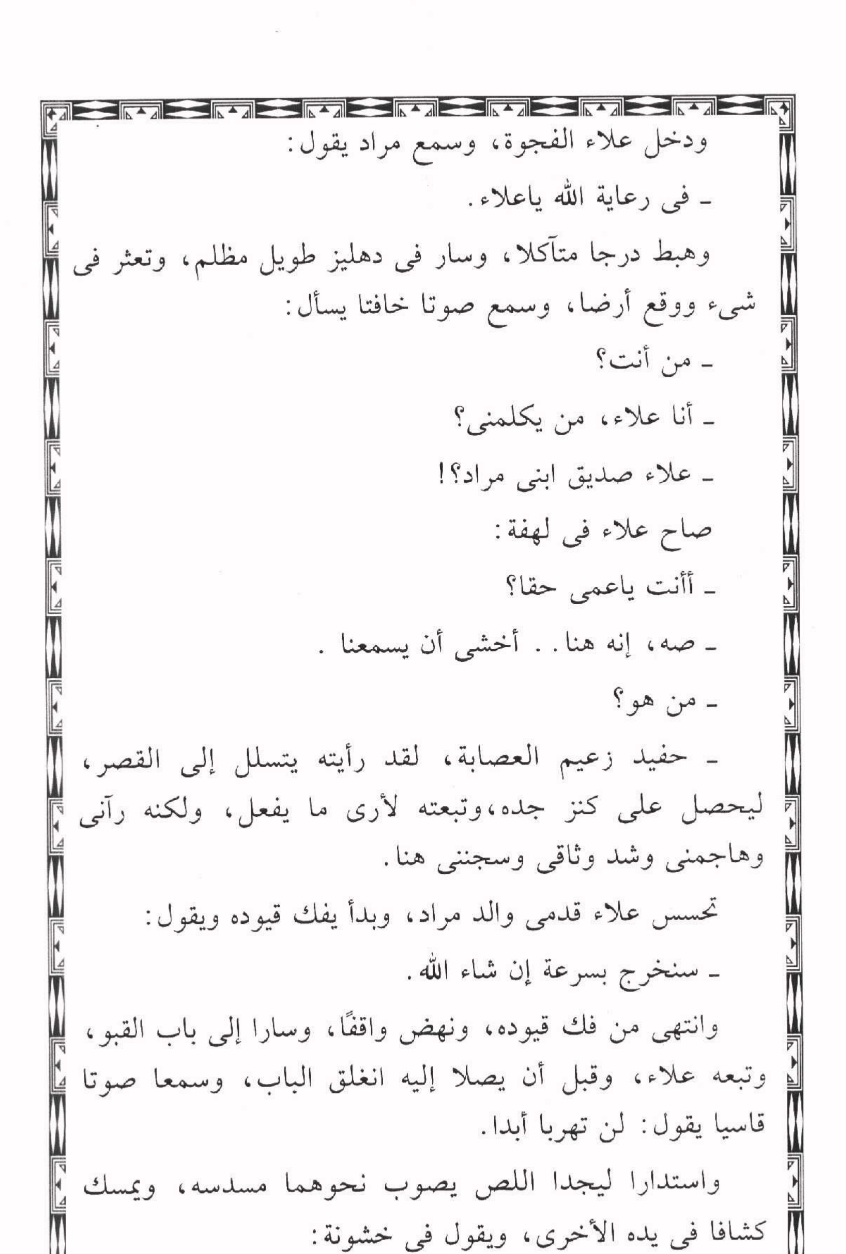
واتجه نحو الفارس الحديدى، وحرك ذراعه وسيفه، فسمعا صوت صرير خافت، مثل الصوت الذى سمعاه وهما داخل غرفة المكتبة، ودار الفارس حول نفسه، وانفتحت فجوه فى الجدار، فهلل علاء:

جذبه مراد من يده قائلا:

- انتظر إننا لا نعرف أى خطر ينتظرنا بالداخل.

- معك حق، انتظرنى هنا، لتتدخل لإنقاذى، إذا حدث لى مكروه.





ودخل علاء الفجوة، وسمع مراد يقول:

- فى رعاية الله ياعلاء.

وهبط درجا متآكلا، وسار فى دهليز طويل مظلم، وتعثر فى شىء ووقع أرضا، وسمع صوتا خافتا يسأل:

- من أنت؟

- أنا علاء، من يكلمنى؟

- علاء صديق ابنى مراد؟!

صاح علاء فى لهفة:

- أأنت ياعمى حقا؟

- صه، إنه هنا.. أخشى أن يسمعنا.

- من هو؟

- حفيد زعيم العصابة، لقد رأيته يتسلل إلى القصر، ليحصل على كنز جده، وتبعته لأرى ما يفعل، ولكنه رآنى وهاجمنى وشد وثاقى وسجننى هنا.

تحسس علاء قدمى والد مراد، وبدأ يفك قيوده ويقول:

- سنخرج بسرعة إن شاء الله.

وانتهى من فك قيوده، ونهض واقفًا، وسارا إلى باب القبو، وتبعه علاء، وقبل أن يصلا إليه انغلق الباب، وسمعا صوتا قاسيا يقول: لن تهربا أبدا.

واستدارا ليجدا اللص يصوب نحوهما مسدسه، ويمسك كشافا فى يده الأخرى، ويقول فى خشونة:



ـ اليوم سأنقل الكنز، وأسجنكما هنا لتموتا من الجوع.

وضحك ضحكة قاسية وهو يقول لوالد مراد:

ـ لن أنسى أبدا أن جدك هزم جدى وقدمه للعدالة، أنا اليوم أنتقم له.

ولم يلحظ اللص أن يد علاء راحت تتحرك حتى أمسكت صخرة صغيرة، وأنه استدار بسرعة وصوبها نحوه وفوجىء اللص، وتراجع للوراء، ففقد توازنه، وتحرك والد مراد، وهاجم اللص، واشتبك الرجلان فى صراع شديد، وفجأة انفتح الباب السرى، وسطعت أضواء كشافات قوية، وارتفع صوت قوى يقول: ارفعوا الأيدى جميعا.

وظهر رجال الشرطة..

لقد أبلغ مراد الشرطة عقب دخول علاء القبو السرى.

وتم القبض على اللص..

وارتمى مراد فى أحضان والده.. وسالت دموعه وهو لايصدق أنه نجا من اللص.. وراح يقول: الحمد لله. الحمد لله.

وتسلمت الشرطة أموال اللص، بعد هذه السنوات الطويلة، لتعيدها إلى ضحاياه.

تمت بحمد الله.

رقم الإيداع ٨٧٩٥ / ٩٨